69 - السيدة ريطة بنت الحارث

المهاجرة زوجة المهاجر

اسمها ريطة، والدها الحارث بن جبيلة، وزوجها الحارث بن خالد، كانت ريطة وزوجها الحارث بن خالد من السابقين الأولين لدخول الإسلام، وحين تحرَّك ركب المهاجرين إلى الحبشة فراراً بدينهم من نكال قريش وأذاها كان هذان المؤمنان في عدادهم.

ما أشد فراق الوطن!! وما أقساه على أبنائه، إذا أُكرهوا على مغادرته!! ولكنه على كل حال يبقى أيسر من فراق الدين، لقد دخل المهاجرون في دين الإسلام، وذاقوا حلاوة الإيمان، وبعد أن استساغوها قامت قريش تريد أن تردَّهم إلى حنظل الشرك وعلقم الكفر، فكيف يقبلون؟!!.

لذلك اختاروا الغربة والآلام، وآثروها على عبادة الأصنام، بعد أن عرفوا نعمة الإسلام، وتقلَّبوا في ظلاله الوارفة، وقطفوا ثماره اليانعة.

وعلى أرض الحبشة الآمنة عاشت ريطة وزوجها في سعادة وهناء، وأنجبت له موسى وزينب وإبراهيم وعائشة، وأخذت تغرس في نفوسهم مبادىء الدين الحنيف الذي امتنَّ الله به عليها وعلى زوجها وعلى المؤمنين كافة.

وكانت ريطة حسنة التبعُّل لزوجها، وكان الحارث يحسن معاملتها، فكلٌّ منهما أصفى شريكه من المودَّة خالصها، ومن المحبة صرفها، حتى أصبح بيتهما مثلاً يُحتذَى في نشر الوئام في أجواء سائر البيوت، وغرس السعادة بين جدرانها.

ولما تقرَّرت عودة المهاجرين إلى مكة حَزَمت ريطة متاع أسرتها، وجهَّزت حقائبها، ثم انطلقت مع زوجها وأبنائها الأربعة بصحبة قافلة المهاجرين.

وفاتها في طريق هجرتها الثانية

استراح المهاجرون قليلاً في مكة، ثم اتَّخذوا سبيلهم إلى المدينة ليلحقوا برسول الله ﷺ فيها، ويتداركوا ما فاتهم من الخير بقربه خلال وجودهم في مهاجرهم في الحبشة.

وما كانت أسرة الحارث تعلم بما يخبِّئه لها القدر، ولكن مشيئة الله ماضية في عباده حتى يرث الله الأرض ومن عليها، ففي الطريق إلى المدينة شعر أبناء الحارث وزوجه بالعطش الشديد فنزل بهم على ماء، وشربت ريطة وأولادها الأربعة، ولم يكن الحارث بحاجةٍ إلى الشراب، ولما عاودوا المسير بدأوا يحسُّون بالفتور، ثم خارت قواهم، وأخذوا يتساقطون على الأرض، وإذا ريطة وأبناؤها الأربعة جثثٌ لا حراك بها، لقد كان الماء مسموماً فقتلهم جميعاً، وذُهل الحارث أمام هذا المشهد الأليم، ولم يستطع أن يفعل شيئاً، إنه قضاء الله، وهو خالق الموت والحياة، وله الأمر، وما على عباده إلا الرضا والتسليم.

وفي المدينة روى الحارث مأساته لرسول الله ﷺ فزوَّجه ابنة يزيد بن هاشم، فعوَّضه الله منها ذرية طيبة.

رحم الله ريطة التي ماتت مع أولادها على طريق الهجرة إلى أعظم المهاجرين، ونالت ثوابها من خالقها الذي لا يضيّع مثقال ذرّة، فقد أنزل الله تعالى في أمثالها من المهاجرين: ﴿وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [النساء: 100].